

# الرواية ملحمة العصر والشبكة الشفافة لعصب العالم الحديث

## قراءة في كتاب (تطور الرواية الحديثة)

استطاعت الرواية الخروج من مفاصل تاريخية مهمة مجددة ذاتها في كل مرة، مفتوحة على الفنون والحكايات، مفككة لغتها وحكمتها، ومناحة أشكالاً ومضامين لانهائية، لكن تبقى للرواية قفزات هامة لا يمكن تجاوزها في مسارها التاريخي ولا يطال هذا المنجز الروائي الغربي وحسب، بل يتعداه إلى ما أنجزته الثقافات الروائية في العالم كله.

### احمد رجب شلتوت

يتأسس موضوع هذا الكتاب على مناقشة: لماذا وكيف لبست الرواية لبوس الحديثة؟ ويمكن عن هذا الكتاب بمقابلة مقدمة إلى أشكال الرواية الحديثة والوظائف التي تنهض بها إلى جانب مسالة الواقع والتقنيات والمعضلات والتطور المرتبط بالرواية الحديثة. هكذا يحدد الأكاديمي الأميركي جيسي مائر الهدف من كتابه "الرواية الحديثة.. مقدمة قصيرة"، الذي ترجمته الكاتبة العراقية لطفية الدليمي، وأصدرته دار المدى بعنوان "تطور الرواية الحديثة".

يقدر المؤلف ابتداءً من الجملة الأولى أن "الرواية ظلت حديثة على الدوام"، إذ انشغلت دائماً بالحياة المعاصرة والأشياء المستحدثة

فيها، والرواية المعرفي الوحيد الذي واصل الارتقاء، وذلك لأسباب كثيرة منها أن الرواية تمثل نوعاً من الذاكرة الجميلة المميزة للبشر، فهي بمثابة خزانة الحكايات الحافلة للمزاي



الاجتماعية و الأنتروبولوجية لكل الشعوب، كما أنها تؤذي وظيفة الأسطورة، فأصبحت بمثابة الفضاء الميتافيزيقي الذي يلجأ إليه الأفراد للإبحار في عالم متخيلة تشبه حلم يقظة ممتد، والرواية كذلك عمل تخيلي يبدأ بالمخيلة ويتطور داخل فضاءه.

وتذهب الترجمة أيضاً إلى أن الرواية معلم حضاري وثقافي تنهض به العقول الراقية في مختلف الاستغالات المعرفية، وهي جهد خلاق يرمي إلى فتح آفاق جديدة أمام الوعي البشري والخيال الإنساني وأخيراً فالرواية أداة ناعمة من أدوات العولمة الثقافية. أما عن سبب منحها الترجمة عنواناً غير الذي حملته الكتاب في نسخته الأصلية فتقول الدليمي "فضلت عنواناً للكتاب 'تطور الرواية الحديثة' لأنه يتناول الرواية الحديثة في سياق تطوري ارتقائي منذ يواكير نشأتها الأولى وحتى وقتنا الحاضر، ولم يكتف الكتاب بالاشتغال على الرواية الحديثة بل تناول في أحد فصوله مدخلاً موجزاً لرواية ما بعد الحداثة، كما تناول في فصل آخر مقدمة موجزة للرواية ما بعد الكولونيالية، ولا يخفى ما لهذه النظمين الروائيين الأثر من أهمية".

يتناول الكتاب في الفصول الأربعة الأولى نظرية الرواية الحديثة وفلسفتها، مناسلاً "أين ومتى نشأت الرواية الحديثة؟" ويجب بأن الرواية ترسخت حداتها مع ظهور "الأستاذ" أو هنري جيمس، الذي أثبت بإبداعه وتنظيره أن الرواية فن راسخ الأركان، لتكون الحداثة محاولة لتقويض الأشكال التقليدية للرواية التي فقدت الصلة مع الواقع. فالرواية الحديثة وقتاً تمتاز هي التي أحدثت قطيعة مع الماضي وجعلت من نفسها شكلاً جديداً، فبعد أن شهد العالم تغيراً حاسماً لم يكن ممكناً للكتابة أن

تمضي كما كانت من قبل، كما لم تعد للحكايات القديمة القدرة على أن تتضمن التجارب الجديدة التي أتاحتها الحداثة، فهست الرواية الحديثة الحكمة، وفككت النهايات واقترب السرد الروائي من الأنماط الشائعة في التجارب الحياتية اليومية.

### مسألة الحداثة

ويتساءل ماتز حول ماهية الواقع، ذلك أن "التشخيص الروائي استحالة مسألة حدس فحسب بدلاً من كونه مسألة محسومة بصورة مسبقة"، وكان على الروائي أن "يتعامل مع الواقع لا باعتباره حقيقة مفروغا منها بل باعتباره إشكالية دائمة". سيقود هذا إلى خلق نزعات أساسية ثلاث هي "النزعة التشكيكية، النزعة النسبية، نزعة التهمك والسخرية والمارقة"، و"لم يعد الواقع الآن شيئاً مؤكداً يقع خارجاً عننا وينبغي للروائي وصفه بل بات عملية اشتباك مع الوعي".

وحتى تكون الرواية أقرب إلى الواقع كان عليها أن تعكس صورة غير متماسكة وغير متجانسة للواقع في محتواها فقد "هشم السلا تجانس الرواية الحديثة وحولها إلى شظايا" لنصل إلى "الرواية عديمة الحكمة، والمتشظية، وغير الكاشفة للحقائق ومفتقدة للصنعة الفنية لكنها يمكن أن تحتوي على شكل أكثر تشذبا من الوقائع العارية، والمسألة الصبورة، والاستكشاف الحر، ويمكنها ملامسة سطح الحياة التي لم تتوار في الرواية الحديثة وما بعد الحديثة، لكنها باتت موضع تساؤل فيها، مما انعكس على الشكل الروائي الذي كان سابقاً في حاجة إلى النظام، لكن الرواية الحديثة ستعتمد بدلاً من ذلك اللانظام، والتمركز الطاعني حول الذات، والإرباك".

يقوم جيسي ماتز بمسألة الحداثة، فمثلما انغمست الرواية الحديثة في مسالة الواقع فينبغي لها أيضاً مسالة اللغة ذاتها، وبحسب قوله فقد "كثف الشعور الجديد بالإحساس المديني الإبداع الروائي، كما غير أسلوب المعيشة الحضري بصورة كاملة من وظيفة الكاتب بعد أن جعلت حياته موضوعاً للحشود

المكتظة. والانعزال المستوحذ، والعلاقات الأخطبوطية بعالم التجارة والثقافة مترامي الأطراف، وحتى لو بدت الرواية الحديثة أحياناً مبتغاة لذاتها ومكتفية بفضائها الخاص ومهمته بتوجيهه بؤرتها نحو أساليبها وهياكلها الخاصة".

وكما في روايات هنري ميلل "حل عدم التجانس النصي الداخلي محل الارتقاء الهادئ والمعلن، وكسرت المشاعر المتفجرة حيادية وهذوء السرد الموضوعي، وضمت هذه التغيرات الروائية في لعب أدوارها التأثيرية بعد أن ترسخت سطوة النزعة الإيرونيكية كوسيلة في تحدي الأعراف الاجتماعية التقليدية، ولجعل الرواية الحديثة أكثر انفتاحاً على الواقع".

وعملت الوجودية والنزعة الإيرونيكية على تجدير التجريب الروائي، في أساسيات الحياة الحقيقية. وهذه التجديدات مما يؤدي بنا إلى "ما بعد الحداثة" لتؤصل الرواية نوعاً جديداً منطوقاً من التجريب المقترن برؤية تشكيكية أكثر قسوة بكثير من تلك التي جاء بها المحدثون".

وإذا كانت الرواية الحديثة قد حاولت ملامسة الحقيقة فإن "النزعة التشكيكية ما بعد الحداثة أكدت عدم إمكانية ملامسة الحقيقة بأي حال من الأحوال". فصارت الرواية هي "التي تقود القارئ من خلال ما يشبه مدينة معارض تتعج بالأوهام والخدع والأضاليل والمرايا المشوهة وفخاخ الأبواب المغلقة التي تتفتح على حين غرة تحت أقدام القارئ". لذا باتت الرواية تدور حول وهمها الذاتي، أو زيفها الخاص والغريب أن الحكمة عادت إلى الرواية ثانية "ولكن كعنصر يعمل على تهشيم المواضع الراسخة في نهاية المطاف".

تطور الرواية الحديثة

تأليف: جيسي ماتز

ترجمة وتقديم: لطفية الدليمي

الناشر: دار المدى

سنة النشر: ٢٠١٦ (الطبعة الأولى)

محتها، إن لم يكن ذلك بدافع رد الجميل، فبدافع أخوة الدم واللغة والمصير.

وقدم مبدعو مجموعة شناسيل بقيادة الفنان عمر كريم وصلة موسيقية أعقبتها محاضرة الدكتور حسن النخيلة من كلية الفنون الجميلة بجامعة البصرة بعنوان (المسرح العربي.. تجليات في محاولات الخروج من المستنك نظريا وتطبيقيا).

وختاماً تم توزيع الشهادات التقديرية على الفنانين الرواد والشباب، كما تم توزيع مئات المطبوعات المقدمة من قصر الثقافة

والفنون في البصرة وجماعة المسرح المعاصر، ثم قدم منظمو الاحتفالية شكرهم وتقديرهم لقصر الثقافة في البصرة لاحتضانه هذه الفعالية المهمة وتعاونه المتواصل مع الجميع بفتح أبوابه لشتى الأنشطة والفعاليات الإبداعية.



كيف يفتنهم، وهذا ما جعله عاجزاً عن تأدية مهمته الاجتماعية والفنية والجمالية التي كان يقوم بها. كما نقل تمنياته على الشعوب العربية أن تقف مع الشعب السوري في محنته التي ينزف دمه فيها وهو الذي وقف معها في قضاياهم، وكان له مدارس واتجاهات، حتى تبين لك أن المسرح العربي صار واحداً من أغنى المسارح في العالم، لكنه منذ أواخر القرن العشرين حتى اليوم صار مضطرباً ضائعاً لا يعرف ماذا يجب أن يقول، ويتخبط في أشكاله فلا يعرف

## بمناسبة ثمانينيته

# اتحاد الأدباء يحتفي بتجربة الشاعر صادق الصائغ

### متابعة: المدي

عطاء كبير، امتد لعمق الوجود العراقي، وسنوات رسمتها القصيدة الخائرة في الغربة والمهاجر، فرغم ابتعاده عن البلاد والمدينة إلا أن نيران الوجود لم تمتنع عن لسعه، حتى صار تاريخه الشعري جزءاً من حياته وواقعه، فحين نذكر إننا نحتمي بنماينية الشاعر صادق الصائغ لن نحتمي بطفولته وولادته ومهده فحسب، بل سحتني به هو بمنجزه بجمالية وعق هذا المنجز...

خلال جلسة أقيمت للاحتفاء بمرور ٨٠ عاماً على ولادة الصائغ في الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق وبالتعاون مع جمعية دعم الثقافة، صباح يوم الاثنين الفائت على قاعة الجواهري تحدث خلالها كبار النقاد والأدباء العراقيين وقدمها الشاعر سهيل نجم الذي تحدث عن بدايات الصائغ، نكرياته ومنجزه، عن مجاميعه الشعرية وقصائده التي لامست الواقع رغم ابتعاده عنه...

كما تحدث نجم عن فنية ما رسمته قصائد الصائغ من قيم جمالية من خلال منجزه الشعري والابسي، ذاكر أن هذه الجلسة ما هي إلا واجب وامتنان من قبل محبيه وقراءه ومن قبل الأدباء لمنجز الصائغ العميق والمعيز. الجلسة تضمنت العديد من الورقات النقدية منها للنقاد فاضل ثامر الذي قدم "دراسة نقدية خاصة بتجربة الصائغ". ذاكر "أنها تعد من أغزر التجارب ممتدة منذ نهاية الخمسينيات حين نشر في مجلة فنون عام ١٩٥٧، وتمتد حتى الآن، جليلاً لا يمكن تحديد تجربة الصائغ بوصفه ستنيا وخمسينياتاً وكانت تجربته قد نضجت خلال الستينيات وتواصل مع عدد من الشعراء كيويس الصائغ وسعدي يوسف وغيرهم فهو مثلهم كتب في الستينيات ولكن لم ينسب إلى الشعراء الذين وقعوا على البيان الشعري في الستينيات، وأشار ثامر أن "الصائغ في السنوات الأخيرة بدأ يعبر عن تجربته ومخاوفه من الموت خاصة في قصيدته "ألى عزرائيل" إضافة إلى

ما نوهت إليه قصائده المتحدثة عن الوجود العراقي". أما من الناحية الأدبية والتقنية يذكر ثامر "أن قصائد الصائغ ذات تقنيات ناضجة حيث استخدام التكرار واستخدام البننى التصويرية وظلت اللغة الشعرية بسيطة وتجنبت التعقيد وتخلل من التجارب الحية والتأمية". كما تحدث الشاعر عبد الزهرة زكي من خلال ورقة نقدية قدمها عن التجربة الإنسانية والأدبية للصائغ.



بذوره ذكر الناقد في حسن الفواز خلال كلمته "من الصعب الحديث عن تجربة الشاعر صادق الصائغ دون الحديث عن تاريخية هذه التجربة وعلاقتها بالحراك الثقافي العراقي بدءاً من نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات، وليس انتهاء بعلاقتها بحركات التجريب والتجديد التي استغرقت التحولات الشعرية العراقية، وارهاساتها للتجاوز والمغايرة". وأضاف الفواز "أسئلة الشاعر

الصائغ لهوية القصيدة الجديدة اقترنت بحساسيته إزاء جملة من المؤثرات التي تعرضت لها الشعورية العراقية في مرحلة ما بعد السباب، إذ وجد الشعراء أنفسهم أمام متغيرات سياسية واجتماعية وثقافية عاصفة، وعند رؤى تحاول أن تستقرئ مفاهيم الحداثة وأثرها، وقيم التجديد على مستوى الشكل والفكرة، لذا كان الشاعر الصائغ أكثر تعلقاً بهواجس التشكيل، والبناء الدرامي، بوصفها هواجس تعبيرية، مثلما وجد في القصيدة البصرية أفقه الشعري لكتابة القصيدة الجديدة، قصيدة الاستعادة والتحول، وقصيدة الحضور الرمزي من خلال ثنائية الشعر والحياة، أو الغياب والحضور...". وقد قرأ الصائغ مجموعة من قصائده القديمة والجديدة خلال الجلسة والتي أخذت من عموم تجربته وهي تعبر عن عدة مراحل من تجربته وأعدت تواصل تجربته مع الوجود العراقي رغم البعد، وفي نهاية الاحتفالية قدمت باقة ورد من قبل جمعية دعم الثقافة إضافة إلى درع الجواهري الذي قدمه الناقد فاضل ثامر.

## منطقة محررة

نجم والي

## حاران وما أدراك ما حاران

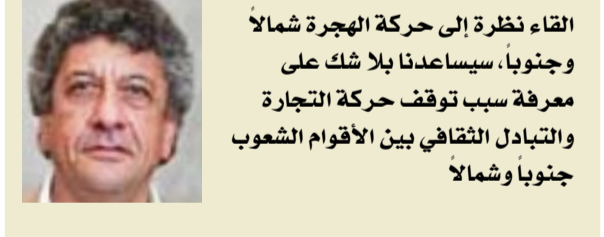
حسب ما ترويه لنا القصص والأساطير الدينية القديمة، كانت حاران بمثابة القنلة التي يلجأ إليه الفارون. المركز. وحسب الزاوية التي ينظر منها المرء لها، ممكن أنها كانت في العصور الغابرة المدينة الصودية الأخيرة لأرض وادي الرافدين، أو المدينة الأولى خارج حدود وادي الرافدين، وفي الحالتين، هي مثلها مثل مدن حدودية عديدة، تعيش مزدهرة، يعيش فيها أقوام مختلفة، لأنها ليست مكاناً لتبادل الثقافات والمصالح وحسب، بل هي المنفذ. الميناء الأرضي لممالك أخرى، في هذه الحالة، لعبت حاران دور نقطة العبور، (الترانسيت) باتجاه البحر، باتجاه شمال الغرب، باتجاه ما سيطر عليه لاحقاً طريق البلقان. وبعد قرون، بعد أن تمر أزمنة طويلة، عندما ستندثر حاران، ستستلم مكانها، مدن أخرى إلى شمالها الغربي، ستشتهر مثلها وتدخل التاريخ، مدينة ميليت مثلاً.

لنعاين ما حدث حول حاران: أنها مفارقة بالفعل، فبالتوازي مع هجرة إبراهيم وعائلته ونفر كبير من السومريين بالتأكد، باتجاه الشمال، حاران، بدأت حركة هجرة أخرى باتجاه الجنوب الشرقي، شرق البحر الإيجي (شمال غرب حاران) قامت بها قبائل سيطر عليها لاحقاً بالأغريق، رغم أن اسمهم يظل بالنسبة للعرب وسكان البحر المتوسط، اليونانيون، استقروا هناك وأسسوا مدناً انضمت إلى بعضها لاحقاً في حلف مشترك، فيما تأسست حضارة جديدة إلى الجنوب على ناقض انقهار الحضارة السومرية، أطلق عليها الحضارة البابلية، اليونانيون من الشمال، والبابليون إلى الجنوب. الغاء نظرة إلى حركة الهجرة شمالاً وجنوباً، سيساعدنا بلا شك على معرفة سبب توقف حركة التجارة والتبادل الثقافي بين الأقاليم/ الشعوب جنوباً وشمالاً، هذه الفرضية التي يمكن ملاحظتها في أماكن عديدة من العالم، تتجلى في طريق شبه جزيرة البلقان والمناطق المتاخمة لها، ولا يهم أنها ابتعدت عنها بضع آلاف من الكيلومترات، لأنها وبسبب العوارض الطبيعية خاصة، البحار أو الجبال، هي الطريق الوحيد المكمل لهذه الطريق، في حاران مثلاً، تتجلى باكثر وضوح.

لنبدأ بحاران: حركة سير القوافل من بابل باتجاه الشمال قديمة، كان لابد لهذه القوافل وأن تمر بحاران، فهي تسير باتجاه المعاكس لمجرى نهر الفرات، كما كان لابد لها وأن تتحرف باتجاه اليمين، بسبب سلسلة الجبال التي ستبدأ شمالاً، الطريق أسهل للقوافل إذا سارت على السهل المنفتح باتجاه البحر، ثم من هناك، بالذات حيث ستأسس مدينة ميليت لاحقاً، تبدأ بالسير ناحية الشمال، وهو موقع حاران هذا الذي تميزت به، مكائنتها، هما ما جعلها تصبح القطب الذي يجلب القوافل ناحيتها، وهي ظلت وحتى عهود لاحقة طويلة المكان الذي تدور حوله، تمر به الهجرات الكبيرة باتجاهها، ناحية الشمال وناحية الجنوب.

وإذا لا تكون هذه الهجرات وحركات التبادل الثقافي والتجاري (الإنسان ارتبط مع بعضهم، أحدهما كان وراء إزدهار الآخر) هي وراء ازدهار حاران بصفتها مركزاً اقتصادياً وثقافياً، فمن الصعب بمكان العثور على سبب آخر جعلها تصبح منذ ذلك الزمان وحتى عهود لاحقة، مركزاً للحركة فكرية بدت متطورة قياساً لمن حولها، حتى وهي تلبس لبوس الدين، كما في حالة الحركة النسطورية، الديانة الصابئية المندائية وعلاقتها بعبادة الكواكب.

حاران تقع عند منبع نهر الفرات، شمال غربها وجنوب شرقها ازدهرت الحضارات، بعد هجرة إبراهيم مثلاً، بدأ نجم حضارة اليونانيين بالصعود في شمال غربها، فيما ازدهرت حضارات عديدة في جنوب شرقها، في أسفل نهر الفرات وقبل مصبه في شط العرب، وبعد اختفاء الحضارة السومرية، ازدهرت حضارة جديدة كبيرة، الحضارة البابلية التي نشأت ما بين القرنين الثامن عشر والقرن السادس قبل الميلاد، والتي كانت تقوم على الزراعة وليس الصناعة، وكانت بابل دولة أسسها حمورابي عام ١٧٦٣ قبل الميلاد، والتي ستبدأ معها حركة تنقل قوية في الاتجاهين: اتجاه الشمال واتجاه الجنوب، ستكون حاران مركزه. قبل أن تسلمه إلى ميليت اليونانية.



القاء نظرة إلى حركة الهجرة شمالاً وجنوباً، سيساعدنا بلا شك على معرفة سبب توقف حركة التجارة والتبادل الثقافي بين الأقاليم الشعوب جنوباً وشمالاً